دعوة
الإمام محمد بن عبد الوهاب
بين مؤيديها ومعارضيها
في شبه القارة الهندية

تأليف

الشيخ / أبو المكرم بن عبد الجليل

راجعه وقدم له

فضيلة الشيخ / صفي الرحمن المباركفوري

فضيلة الدكتور / عبد العزيز بن محمد بن عتيق

دار السلام
للنشر والتوزيع

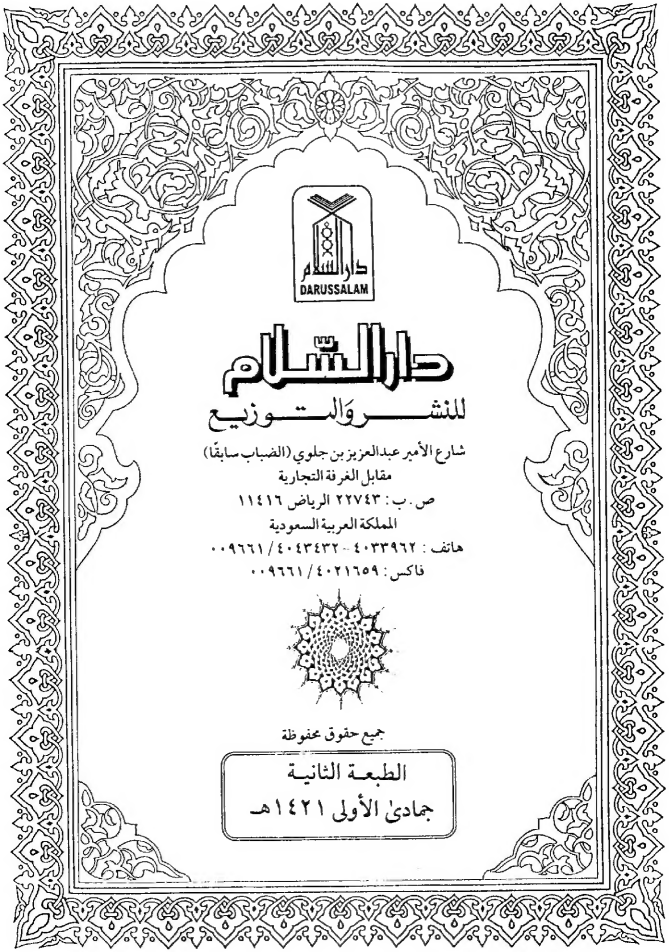

جميع حقوق محفوظة

الطبعة الثانية
جمادى الأولى ١٤٢١هـ

الشيخ حسين أحمد المدني

(المتوفى ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م)

نبذة عن حياته :

هو الشيخ حسين أحمد المدني، الملقب بشيخ الإسلام لدى جماعته، تخرج في جامعة ديوبند وعين رئيسًا للمعلمين وشيخًا للحديث فيها بعد الشيخ محمد أنور شاه الكشميري، وكان من الذين لعبوا دورًا بارزًا في حركة تحرير الهند من الإنجليز، وله مؤلفات منها: كتاب «نقش حيات» في مجلدين، و «الشهاب الثاقب» وغيرهما، وسيأتي ذكر هذه الكتب في السطور القادمة، إن شاء الله[1].

موقفه من الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته :

قلنا في السابق: إن الشيخ حسين أحمد المدني هو أشد علماء الديوبندية ردًا وأكثرهم طعنًا في الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته، إذًا فلنقرأ فيما يلي بعض المقتبسات من كلامه ليتبين لنا حقيقة ما قلناه، ولنعرف من خلالها هل هي محض «انطباعات» كما زعمه بعض علماء ديوبند اليوم، أم آراء وأفكار ومعتقدات بلغت أقصى حد الافتراء والبهتان؟

(١) راجع تفصيل ترجمته في «نزهة الخواطر» ٨/ ١١٥-١٢١.

نماذج من أقوال المدني وأسلوبه في ذكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب :

قال الشيخ المدني وهو يتحدث عن شخصية الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله:

«إن محمد بن عبدالوهاب النجدي ظهر في بداية القرن الثالث عشر من نجد العرب، وبما أنه كان يحمل معه أفكارًا باطلة وعقائد فاسدة فقتل وقاتل أهل السنة والجماعة، وما زال يُكرههم على قبول معتقداته، ويستحل أموالهم، وعد قتلهم موجبًا للأجر والثواب، وآذى أهل الحجاز وبخاصة سكان الحرمين إيذاءً شديدًا، كما تفوه في شأن السلف الصالح وأتباعهم بكلمات هي في غاية الشناعة والوقاحة، حتى اضطر الكثير منهم إلى مغادرة مكة والمدينة فرارًا من شدة إيذائه، واستشهد على يده وأيدي جيوشه آلاف من المسلمين، **والحاصل أنه كان رجلاً ظالمًا عاصيًا فاسقًا سفاكًا**، ومن أجل ذلك ما زالت للعرب ولا تزال عداوة قلبية معه ومع أتباعه، بحيث أن العرب لا يبغضون اليهود ولا النصارى ولا الهندوس كما يبغضون الوهابيين، فبالأسباب المذكورة أعلاه يبغض العرب هذه الطائفة أشد بغض، ويجب هذا البغض تجاههم بلا شك، حيث إنهم آذوهم إيذاءً شديدًا...»[1].

(١) انظر «الشهاب الثاقب على المسترق الكاذب» للشيخ حسين أحمد المدني، ص: ٤٢، طبع «آزاد برنتنك بريس» (مطبعة آزاد) بديوبند، الهند.

مسئلة تكفير المسلمين :

قال الشيخ المدني وهو يذكر معتقدات الشيخ محمد بن عبدالوهاب كنماذج لبيان الفرق بينه وبين علماء ديوبند :

«وكان محمد بن عبدالوهاب يعتقد أن كافة أهل العالم وجميع مسلمي بلاد العرب كافرون ومشركون، وأن قتلهم وقتالهم ونهب أموالهم جائز بل واجب»[١].

ثم ذكر المدني كلامًا طويلاً لبعض علمائه ومشايخه، يستدل من خلاله على احتياطهم في مسألة تكفير المسلمين، بخلاف أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ثم قال :

«فلينظر القارىء إلى شدة احتياط حضرة الشيخ (رشيد أحمد) الكنكوهي ـ قدس الله سره العزيز ـ وأتباعه في تكفير المسلمين، وتحمسهم لاتباع السلف الصالح، بخلاف الوهابية الذين يكفرون المسلمين بأدنى شبهة وَهْمية، ويستحلون أموالهم وغيرها»[٢].

وزاد قائلاً :

«إن مجدد الدجالين (أحمد رضا خان) وأتباعه على قدم وساق الوهابية حيث يسعون لتكفير المسلمين، ويحاولون تضييق نطاق أمة محمد ﷺ، بل هؤلاء (أحمد رضا وأتباعه) فاقوا الوهابية في مسألة تكفير المؤمنين وتضليلهم، فظهر الفساد في البر والبحر، خذلهم الله تعالى في الدنيا

(١) «الشهاب الثاقب على المسترق الكاذب» ص : ٤٣ .
(٢) «الشهاب الثاقب» ص : ٤٤ .

والآخرة، آمين»[١].

مسألة حياة النبي ﷺ :

يقول المدني :

«إن النجدي وأتباعه يعتقدون إلى الآن أن حياة الأنبياء كانت في المدة التي قضوها في الدنيا، وأما بعد ذلك فهم وعامة المؤمنين سواء في الموت، وليس لهم بعد موتهم حياة إلا الحياة البرزخية التي هي ثابتة لعامة الأمة، ويعتقد البعض منهم بسلامة أجساد الأنبياء، ولكن بدون علاقتها بأرواحهم، ويسمع العديد منهم يتكلمون في حياة النبي ﷺ بكلمات كريهة لا يجوز النطق بها، وكتبوها أيضًا في رسائلهم ومؤلفاتهم، وأما أكابرنا فرسائلهم ومعتقداتهم تخالف الوهابية كليًا في هذه المسألة، فقد ألف حضرة الشيخ النانوتوي ـ قدس الله سره العزيز ـ كتابًا ضخمًا اشتهر بين الآفاق، أثبت فيه حياة النبي بكل حماس، وذكر أدلة قوية لأهل السنة والجماعة في فضل النبوة، كما أن الشيخ الكنكوهي ـ قدس الله سره ـ أيد هذه المسألة وصرح بها في كتبه «هداية الشيعة» و «رسالة الحج» وغيرهما . . . ومن أراد فليرجع إلى كتب «آب حياة» (ماء الحياة) و «هداية الشيعة» و «الأجوبة الأربعين» و «اللطائف القاسمية» و «زبدة المناسك» وغيرها، وهذه مسألة مهمة خالف الوهابية فيها علماء الحرمين، ووصل الأمر إلى الجدل والنزاع عدة مرات، وبهذه المسألة والتي تليها يتميز أهل السنة عن الوهابية»[٢].

(١) «الشهاب الثاقب» ص : ٤٤، ٤٥ ملخصًا.
(٢) «الشهاب الثاقب» ص : ٤٥ .

شد الرحال لزيارة قبر الرسول ﷺ :

يقول المدني :

«وتعتقد هذه الطائفة ـ الوهابية ـ بأن زيارة الرسول ﷺ والحضور عند ضريحه الشريف ومشاهدة روضته المطهرة بدعة محرمة، وأن السفر إليها بهذه النية محظور، ويستدلون على ذلك بحديث «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»، بل إن بعضهم يعتقد ـ والعياذ بالله ـ أن سفر الزيارة بمنزلة الزنا.

وإذا جاء هؤلاء إلى المسجد النبوي فلا يصلون ولا يسلمون على صاحب النبوة عليه الصلاة والسلام، ولا يدعون متجهين إليه، وأما أكابرنا (أي أكابر ديوبند) فيخالفون هذه الطائفة الباغية في هذه المسألة من كل ناحية، ودائمًا يسافرون لزيارته ﷺ، خائفين حديث «من حج ولم يزرني . . .» وعاملين بحديث «من رآني . . .»[1].

ثم فصّل المدني كلامه في ذكر مخالفة أكابر الديوبندية لأتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مسألة زيارة الرسول ﷺ وشد الرحال إلى ضريحه، وذكر كلامًا طويلاً لشيخه رشيد أحمد الكنكوهي في هذه المسألة، ثم قال :

«وقد تبين من هذه العبارة الشريفة ما يلي :

أولاً : أنه يجوز السفر لزيارة الرسول الأكرم عليه السلام، بخلاف ما

(١) «الشهاب الثاقب» ص : ٤٥، ٤٦ .

ذهب إليه الوهابية، حيث إنهم يرونه حرامًا.

ثانيًا : أن هذا السفر من العبادة، ويؤجر فاعله أجرًا خاصًا في الآخرة.

ثالثًا : أن هذه العبادة إما من أعلى المستحبات، فهي من آكد السنن المؤكدة، أو أنها أقرب إلى الوجوب.

رابعًا : أن الأحاديث الواردة في هذا الباب كلها مقبولة وصالحة للعمل، وأما الوهابية فهم يخالفوننا فيها، حيث يرون جميع الأحاديث الواردة في هذا الباب موضوعة أو من أشد أنواع الضعاف.

خامسًا : أن المسافر إلى المدينة المنورة لا ينوي المسجد فقط كما يقول الوهابية، حيث يقولون : إنه لا يجوز السفر إلى المدينة الطيبة إلا بنية المسجد الشريف، وأما حضرة الشيخ (رشيد أحمد الكنكوهي) ـ قدس الله سره العزيز ـ فهو يخالفهم صريحًا، حيث يقول : إنه ينبغي أن ينوي المسافر زيارة القبر المطهر فقط، فلينظر القارىء إلى الفرق الكبير بين المذهبين.

سادسًا : أن أكابرنا يعتقدون بشفاعة الرسول ﷺ، بخلاف الوهابية، فإنهم يأتون في مسألة الشفاعة بآلاف من التأويل، ويخترعون فيها من عندهم بحيث يصلون قريبًا من إنكار الشفاعة»[1].

الإساءة إلى شأن الرسول ﷺ وعدم الاعتراف بفضله :

ثم أسرف المدني في الطعن في معتقد أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب قائلاً :

(١) انظر «الشهاب الثاقب» ص : ٤٦، ٤٧ .

«الوهابية يتفوهون في شأن صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام بكلمات هي في غاية الشناعة والوقاحة، ويرون أنفسهم مماثلة لشخصية الرسول ﷺ، ولا يعترفون له إلا بفضيلة قليلة غاية القلة لأيام دعوته، ثم إنهم لأجل شقاوة قلوبهم وضعف عقائدهم يحسبون أنهم يهدون الناس إلى الصراط المستقيم، ويعتقدون أيضًا بأنه ليس علينا اليوم أي حق ولا إحسان للرسول ﷺ، بل ولا فائدة منه بعد وفاته، ومن أجل ذلك يقولون بتحريم التوسل به في الدعاء بعد وفاته، وقد تفوه أكابرهم - والعياذ بالله - بأن عصا أحدنا أنفع لنا منه ﷺ، فإن العصا نذود به الكلاب وأما شخصيته ﷺ فلا تنفع لنا ذلك[1]».

وبعد هذا الافتراء المحض الذي لا أساس له من الصحة، فصّل المدني كلامه في بيان تعظيم علمائه وأكابره للحرمين الشريفين، وحبهم النبي ﷺ واتباعهم لآثاره وسننه، ثم قال في كلمات صريحة بأن الوهابية ليسوا كعلماء ديوبند في جميع هذه الأمور المذكورة، ولا يعتقدون مثل اعتقادهم، بل يسيئون الأدب مع الرسول ﷺ ولا يعظمونه، ولا يحترمون الحرمين الشريفين، وتوطيدًا لدعواه في علمائه ذكر أبياتًا لهم تتعلق بحب الرسول ﷺ، ثم قارن بينهم وبين أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب قائلاً:

«أهذه هي حال الوهابية الخبثاء؟ هل مثل هذه الكلمات تخرج من ألسنتهم النتنة؟ وهل مثل هذه العبارات الخلابة تصدر من

(١) «الشهاب الثاقب» ص: ٤٧.

أقلامهم النجسة؟ كلا، إن هؤلاء الخبثاء يرون مثل هذا الكلام إلحادًا وشركًا، ويعدون هذا الموضوع - أي موضوع مدح الرسول ﷺ - نوعًا من أنواع الخرافات»[1].

ثم واصل المدني كلامه في بيان شدة حب علماء ديوبند للرسول ﷺ ولمدينته الطيبة، وذكر لذلك قصصًا وحكايات[2] للشيخ رشيد أحمد الكنكوهي تدل على ذلك، وقال بعد ذكر كل قصة أو حكاية:

«هل حظي وهابي خبيث بمثل هذا الحظ؟ وهل الوهابية يعتقدون

(١) «الشهاب الثاقب» ص: ٥١.

(٢) من هذه القصص والحكايات: أنه كان عند الشيخ الكنكوهي من الأشياء التي يتبرك بها قطعة من الغلاف الأخضر للحجرة النبوية المطهرة، وكان حينما يشرف خدامه بزيارة هذه الأشياء المتبركة يوم الجمعة أحيانًا، يفتح الصندوق بيده المباركة، ويخرج منه هذه القطعة من الغلاف، ويمسح بها عينيه أولًا ويقبلها، ثم يمسح بها عيون الآخرين ويضعها على رؤوسهم، وقد شاهد هذه القصة آلاف من الناس، أليس هذا الأمر بدعة وحرامًا عند الوهابية؟ (الشهاب الثاقب ص: ٥٢).

ومن هذه القصص والحكايات قوله: إنه أرسل إلى الشيخ الكنكوهي بعض أحبائه زيتًا من الزيتون محروقًا في الحجرة النبوية المطهرة، فشربه الشيخ الكنكوهي (أي لشدة حبه للرسول ﷺ ولحجرته) مع أنه كان نفيس الطبع، ومع أن زيت الزيتون لا يكون طعمه جيدًا، ويتغير أكثر بعد احتراقه... (الشهاب الثاقب ص: ٥٣).

ومن هذه القصص والحكايات قوله: إنني (أي المدني) سألته (أي الكنكوهي) عما يقوم به أهل المدينة حيث يأتون بأولادهم الصغار، ويدخلونهم في الحجرة النبوية المطهرة بعد كل أربعين يومًا، فيحملهم خادم الحجرة إلى الضريح الأقدس، فيلقيهم أمام الضريح بحيث تكون وجوههم إلى القبلة، ثم يدعو لهم، سألت الشيخ الكنكوهي عن هذا العمل فاستحسنه، فهل الوهابية الخبثاء يرون هذه الأفعال جائزة؟ ألا يرونها شركًا وكفرًا وبدعة؟ (الشهاب الثاقب ص: ٥٣، ٥٤).

بمثل هذه المعتقدات؟ كلا»[١].

وقال:

«هل الوهابية الخبثاء يرون هذه الأفعال جائزة؟ ألا يرونها شركًا وكفرًا وبدعة»[٢].

وقال:

«ويعلم من هذا الجواب أن معتقد الشيخ الكنكوهي وأتباعه في الرسول ﷺ **ليس كمعتقد الوهابية الخبثاء»**[٣].

التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته وبالأنبياء والأولياء:

يقول المدني:

«إن أكابرنا الكرام يتوسلون دائمًا بالأولياء الكرام والأنبياء العظام، ويأمرون أتباعهم بذلك، والذي يراه الوهابية محرمًا كالشرك، وقد كتب الشيخ النانوتوي ـ رحمة الله عليه ـ قصيدة طويلة في التوسل بمشايخ السلسلة الجشتية الصابرية العالية، وهي مطبوعة ضمن كتاب «إمداد السلوك» وغيره من الرسائل الأخرى»[٤].

ثم ذكر المدني أبياتًا من هذه القصيدة، وقال:

«هل الوهابية يرون استعمال هذه الكلمات جائزًا؟ ويتبين للذي

(١) «الشهاب الثاقب» ص: ٥٣.
(٢) «الشهاب الثاقب» ص: ٥٤.
(٣) «الشهاب الثاقب» ص: ٥٤.
(٤) «الشهاب الثاقب» ص: ٥٦.

يمعن النظر في هذه القصيدة أن هؤلاء الأكابر يخالفون عقائد الوهابية ويعارضونها أشد المعارضة، والوهابية لا يجوز عندهم التوسل بالأنبياء عليهم السلام فضلاً عن التوسل بالأولياء، ومن ثم فإنهم يرون استعمال كلمة «بحق فلان» أشد كراهة من ذلك، بل لا يجوز عندهم مثل هذا المدح والثناء، وقد كان الشيخ الكنكوهي ـ قدس الله سره العزيز ـ يرشد المتوسلين دائمًا إلى التوسل بأولياء الطريقة، ويمنحهم الشجرة الطيبة للأسرة الجشتية القدوسية الإمدادية، التي تشتمل على هذه الكلمات: إلهي بحرمة سيدنا ومولانا فلان بن فلان... إلخ، وقد نظم الشيخ الشجرة الصابرية لأسرته ملخصًا في الألفاظ التالية...»[١].

وقد نقل المدني القصيدة المشار إليها أعلاه للشيخ الكنكوهي، وذلك من كتابه «إمداد السلوك»، ثم قال:

«وقد طبعت عدة رسائل للوهابية في هذا الموضوع، صرحوا فيها بمنع التوسل بالرسول عليه السلام وبالأولياء الكرام، ومن أراد التأكد من ذلك فليتأكد...»[٢].

الاشتغال بأعمال التصوف والأشغال الباطنية:

يقول المدني وهو يذكر الفرق الكبير بين معتقد الديوبندية ومعتقد الشيخ محمد بن عبدالوهاب:

«إن الوهابية يعدون الأشغال الباطنية وأعمال التصوف كالمراقبة

(١) «الشهاب الثاقب» ص: ٥٦، ٥٧.
(٢) «الشهاب الثاقب» ص: ٥٧.

والذكر والفكر والإرادة وربط القلب بالشيخ والفناء والبقاء والخلوة وغيرها، يعدونها عبثًا وبدعة وضلالة، ويرون أقوال هؤلاء الأكابر وأفعالهم شركًا في الرسالة، كما أنهم يرون الدخول في سلاسل التصوف مكروهًا بل أشد من ذلك، كما لا يخفى ذلك على من سافر إلى الديار النجدية وخالطهم، وأما الفيوض الروحية (الباطنية) فهي لا اعتبار لها عندهم، وأما أكابرنا الأجلاء فهم جميعًا يسلكون الطرق الصوفية الباطنية، شعارهم الرياضة والمداومة على الفكر والذكر . . . ، فهؤلاء الأكابر كانوا حاملين لأوراد التصوف وأشغاله على غرار ما حملها السلف الصالح وأكابر هذه الأمة، وقد ألف الشيخ الكنكوهي ـ قدس الله سره العزيز ـ رسالة مستقلة في هذا الموضوع، سماه «إمداد السلوك» . . . ، وقد ذكر في بداية كتابه هذا شيخه الكامل فوصفه بالأوصاف التالية:

(افتخار المشايخ الأعلام، مركز الخواص والعوام، منبع البركات القدسية، مظهر الفيوضات المرضية، معدن المعارف الإلهية، مخزن الحقائق، مجمع الدقائق، سراج أقرانه، قدوة أهل زمانه، سلطان العارفين، ملك التاركين، غوث الكاملين، غياث الطالبين، الذي كلت ألسنة الأقلام من مدائحه البالغة، وأعجزت التوصيفَ شمائله الكرام الساطعة، يغبط الأولون والآخرون من شعاره، ويحسده الفاجرون والغافلون من دثاره، مرشدي، معتمدي، وسيلة يومي وغدي، مولائي ومعتقي، سيدي، سندي، الشيخ الحاج المشتهر بإمداد الله الفاروقي التهانوي، سلمه الله تعالى بالإرشاد والهداية، وأزال بذاته المطهرة الضلالة والغواية . . . الخ).

فأيها الإخوة! انظروا إلى ألفاظ هذه العبارة ومعانيها بعين الإنصاف، ثم أفيدوا هل الوهابية يستخدمون مثل هذه الكلمات في شخص من الأشخاص، أو يعتقدون بمثل هذه المعتقدات؟ وتبين من العبارة المذكورة أيضًا أن حضرة الشيخ الكنكوهي ـ رحمة الله عليه ـ يوافق كليًا حضرة قطب العالم الحاج إمداد الله ـ قدس الله سره العزيز ـ في جميع تصانيفه ومعتقداته، مما يزول به اتهامهم بالوهابية، وأن كل صفحة في كتاب «إمداد السلوك» وكل سطر منه لدليل كامل وبرهان قوي على أن حضرة الشيخ الكنكوهي ـ قدس الله سره العزيز ـ ولي كامل وعالم حنفي رباني . . . »[1].

ثم نقل المدني مقتبسات من كتاب «إمداد السلوك» كنماذج يستشهد بها على ما ادعاه، وعقب عليها بقوله:

«فلينظر القارىء بعين الإنصاف، هل الوهابية يوافقون على أقوال الشيخ الكنكوهي وأحواله المذكورة أعلاه؟ هل هذه الطائفة ـ الوهابية ـ يرون قائل هذه الألفاظ متبعًا للسنة؟ ألا يعتبرون هذه الأمور من الشركيات وأكبر من المعصية بسبب تقشفهم وشدة تمردهم؟ ألا يسمون هذه الأفكار عبادة للمشايخ؟ ألا يعدون الفناء والبقاء وفناء الفناء وبقاء البقاء وعملية التسخير والمراقبة والذكر والأشغال وغيرها بدعة سيئة وضلالة . . . »[2].

---

(١) انظر: «الشهاب الثاقب» ص: ٥٩، ٦٠، ٦١.

(٢) «الشهاب الثاقب» ص: ٦٢.

الإساءة إلى أئمة الدين :

يقول المدني وهو يذكر الفرق الشاسع بين عقائد الديوبندية وعقائد أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب :

«إن الوهابية يرون تقليد إمام معين شركًا في الرسالة، ويستخدمون في شأن الأئمة الأربعة ومقلديهم كلمات واهية خبيثة، ومن أجل ذلك خالفوا أهل السنة والجماعة، وغير المقلدين بالهند أتباع لهذه الطائفة الشنيعة، وأن وهابية نجد العرب مع ادعائهم أنهم حنابلة، إلا أنهم لا يعملون بمذهب الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمة الله عليه ـ في جميع المسائل، بل يتركون الفقه الحنبلي إذا عارضه حديث على فهمهم، وقد دأبوا على استخدام الكلمات البذيئة والسيئة في أكابر الأمة، مثل دأب إخوانهم غير المقلدين، وأما أكابرنا فهم مخالفون لهذه الطائفة في جميع هذه الأمور، فهم مقلدون للإمام الأعظم أبي حنيفة رحمة الله عليه، في الأصول والفروع، ويرون تقليد إمام من الأئمة الأربعة واجبًا، كما فصّل في ذلك الشيخ النانوتوي في كتابه «لطائف قاسمية» والشيخ الكنكوهي في كتاب «سبيل الرشاد»، بل إن الشيخ الكنكوهي ألف رسالة مستقلة في وجوب التقليد الشخصي، حيث إنه قد ألف عدة رسائل في الرد على الوهابية حينما تفوهوا بكلمات بذيئة في الإمام أبي حنيفة وأتباعه في بعض المسائل»[١].

(١) «الشهاب الثاقب» ص: ٦٢، ٦٣.

ثم ذكر المدني بعض الكتب التي ألفها الشيخ الكنكوهي في الرد على الوهابية، يمكن الرجوع إلى كتابه لمعرفة هذه الكتب ومواضيعها ومحتوياتها[١].

إثبات الجهة والاستواء الظاهري لله سبحانه :

يقول المدني:

«وهناك مسائل أخرى غير المذكورة أعلاه، خالف الوهابية فيها أهل السنة، وأما أكابرنا فهم يخالفون الطائفة الوهابية في جميع هذه المسائل، وينهجون منهج أهل السنة فيها، وهذه المسائل مثل: مسألة الاستواء، فإن الطائفة الوهابية تثبت الجهة والاستواء الظاهري في آية: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ وغيرها من الآيات في هذا الموضوع، مما يؤدي إلى إثبات الجسم وغيره لله سبحانه، وأما أكابرنا الأجلاء فإنهم في مثل هذه الآيات والأحاديث، إما يتوقفون عن التجسيم وسمات الحدوث مثل أسلافهم، وإما يؤولونها بتأويلات سائغة كأخلافهم»[٢].

نداء يارسول الله ﷺ :

ومن المسائل التي خالف الوهابية فيها أهل السنة والجماعة ـ حسب ما زعمه المدني ـ مسألة نداء رسول الله ﷺ بعد وفاته، يقول المدني:

«إن الوهابية يمنعون من نداء رسول الله ﷺ إطلاقًا، وأما هؤلاء الأكابر ـ الديوبندية ـ فهم يفصلون في هذه المسألة، حيث يقولون: إن

(١) انظر: «الشهاب الثاقب» ص: ٦٣، ٦٤.
(٢) «الشهاب الثاقب» ص: ٦٤.

نداء «يارسول الله» إذا لم يقصد به معناه، وإنما جرى هذا اللفظ مثل ما يجري على ألسنتهم «يا أباه» و «يا أماه» عند الشدائد والكرب، فهو جائز بلا ريب، وهكذا إذا خرج هذا اللفظ (يارسول الله) وقصد به معناه تبعًا للصلاة والسلام على الرسول ﷺ، فأيضًا جائز، وهكذا إذا خرج هذا اللفظ لغلبة الحب وشدة العشق والفداء عليه، فأيضًا جائز، كما أنه لا بأس بهذا النداء إذا اعتقد الشخص بأن الله يبلغ هذا النداء بفضله وكرمه إلى رسوله ﷺ، وهكذا لا يستقبح استعمال هذا اللفظ لأصحاب الأرواح الطاهرة والنفوس الزكية، الذين لا يمنعهم بُعد المكان وكثف الأجسام من تبليغ المعروضات إليهم، إلا أن الوجهين الأخيرين لا ينبغي إظهارهما عند عامة الناس. . . ، **ولكن الوهابية الخبثاء لا يرون هذا التفصيل**، وإنما يمنعون من الأوجه المذكورة كلها، فقد سمعنا على ألسنة وهابية العرب مرارًا أنهم يمنعون الناس من قول «الصلاة والسلام عليك يارسول الله»، ويطعنون في أهل الحرمين على ندائهم بهذه الصيغة، ويسخرون منهم، ويذكرونهم بكلمات سيئة، وأما أكابرنا الأجلاء فهم يستحسنون هذا الوجه أيضًا مع جميع أوجه الصلاة والسلام عليه ـ ﷺ ـ حتى ولو كان بصيغة الخطاب والنداء، ويرونها من المستحبات، كما أنهم يأمرون أتباعهم بذلك، وهذا التفصيل مذكور في كتبهم وفتاويهم، كما أنه مذكور في كتاب «البراهين القاطعة».

ثم إن الوهابية النجدية يعتقدون وينادون على مرأى ومسمع من الناس أن قول «يارسول الله» استعانة بغير الله، وهذا شرك، وهذا القول أيضًا سبب من أسباب الخلاف، مع أن هؤلاء الأكابر الأجلاء ـ

الديوبندية ـ لا يرون هذا القول من أقسام الاستعانة التي تستلزم الشرك، إلا إذا طلب منه ﷺ ما لا يقدر عليه إلا الله، فيكون منهيًا عنه، ومن ثم فإنهم يرون لحاضري المسجد النبوي والحجرة النبوية النداء بلفظ «يارسول الله» جائزًا بل مستحبًا، ولكن الوهابية يمنعون من نداء «يارسول الله» في هذا المكان أيضًا، وذلك لسببين: الأول: أنه استعانة بغير الله، والثاني: لاعتقادهم أن الأنبياء ليست لهم حياة دنيوية في القبور، وإنما هم وعامة المسلمين سواء في الحياة البرزخية، وهذه العقائد للوهابية معلومة لدى كل من سافر إلى بلاد نجد، أو التقى بالوهابيين في الحرمين الشريفين، أو اطلع على عقائدهم بطريقة أخرى»[1].

الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ:

سبق في الصفحات الماضية نقل كلام المدني التالي:

«وإذا جاء هؤلاء (أي أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهم الوهابية الخبثاء بلغة المدني) إلى المسجد النبوي فلا يصلون على صاحب النبوة ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولا يسلمون عليه، ولا يدعون متجهين إليه، وأما أكابرنا (أي الديوبندية) فيخالفون هذه الطائفة الباغية في هذه المسألة من كل ناحية، ويسافرون دائمًا لزيارته ﷺ، خائفين حديث: «من حج ولم يزرني. . .» وعاملين بحديث: «من رآني. . .»[2].

---

(١) «الشهاب الثاقب» ص: ٦٤ـ٦٦.
(٢) انظر: «الشهاب الثاقب» ص: ٤٦.

ثم أكد المدني كلامه هذا في موضع آخر من كتابه، حيث قال:

«وإذا جاء هؤلاء إلى المسجد النبوي الشريف فينصرفون بعد الصلاة، ويحسبون أن حضور الضريح الأقدس للصلاة والسلام عليه ﷺ والدعاء عنده بدعة ومكروه، ومن أجل هذه الأفعال الخبيثة والأقوال الواهية تبغضهم العرب بغضًا شديدًا»[١].

قراءة دلائل الخيرات وقصيدة البردة والقصيدة الهمزية:

يقول المدني وهو يذكر الفرق الشاسع بين معتقد الديوبندية ومعتقد أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب:

«**إن الوهابية الخبثاء يرون أن الإكثار من الصلاة والسلام على خير الأنام عليه السلام، وقراءة دلائل الخيرات وقصيدة البردة والقصيدة الهمزية وغيرها، وجعلها وردًا، أمر قبيح جدًا**»، كما أنهم يعدون بعض أبيات قصيدة البردة من الشركيات، مثل بيت:

يا أشرف الخلق مالي من ألوذ به
سواك عند حلول الحادث العمم

وأما مشايخنا الأجلاء فهم يمنحون أتباعهم الإجازة لقراءة دلائل الخيرات وغيرها، ويأمرونهم بالإكثار من قراءتها ومن الصلاة والسلام على النبي عليه السلام، وقد منح الشيخ الكنكوهي والشيخ النانوتوي ـ رحمة الله عليهما ـ الإجازة لقراءتها لآلاف من أتباعهما، كما أنهما كانا

(١) «الشهاب الثاقب» ص: ٦٦.

يقرءان هذه القصيدة إلى مدة طويلة...»[١].

استعمال التَّبغ من أكبر الكبائر وأسوأ من السرقة والزنا:

يقول المدني:

«إن الوهابية يرون أن استعمال التبغ من أكبر الكبائر، سواء كان ذلك عن طريق السيجارة أو الشيشة أو عن طريق الاستنشاق وغيره، **إن هؤلاء الجهلة لا يلومون الزناة والسّراق ما يلومون مدمني التبغ**، كما أنهم لا يبغضون أفسق الفساق وأفجر الفجار مثل ما يبغضون مدمني التبغ، وأما هؤلاء الأكابر الصالحون (الديوبندية) فهم لا يحكمون على استعمال التبغ أكثر من أنه خلاف الأولى أو أنه مكروه تنزيهًا، بينما البعض منهم يستعمله بنفسه عند الحاجة، وقد طبع هذا الموضوع في عدة كتبهم وفتاويهم»[٢].

إنكار شفاعة الرسول ﷺ:

سبق في الصفحات الماضية أن نقلنا قول المدني في مسألة شفاعة الرسول ﷺ، والذي أوضح به الفرق بين معتقد أكابره ومعتقد أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حيث قال:

(١) «الشهاب الثاقب» ص: ٦٦.
ولمعرفة ما في دلائل الخيرات وقصيدة البردة والقصيدة الهمزية من الشركيات، ولمعرفة موقف علماء أهل السنة من هذه القصائد، يراجع كتاب «القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ» للشيخ حمود بن عبدالله التويجري، وكتاب «السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم» للدكتور تقي الدين الهلالي، رحمهما الله تعالى.

(٢) «الشهاب الثاقب» ص: ٦٦.

«إن هؤلاء الأكابر (أي علماء الديوبندية) يعتقدون بشفاعة الرسول ﷺ، بخلاف الوهابية، فإنهم يأتون في مسألة الشفاعة بآلاف من التأويل، ويخترعون فيها من عندهم، بحيث يصلون قريبًا من إنكار الشفاعة»[١].

وقد أكد المدني كلامه هذا في موضع آخر من كتابه، فقال:

«إن الوهابية يضيقون نطاق الشفاعة بحيث يصلون بها إلى منزلة الإنكار، وأما هؤلاء الأكابر (أي الديوبندية) فإنهم يرون الشفاعة محققة وثابتة للرسول ﷺ، كما أنهم يرون أنواع الشفاعة الخمسة المذكورة في كتب المتكلمين ثابتة للرسول ﷺ بخصوصها وعمومها، ويأمرون الزائر بسؤالها عند حضوره الحجرة النبوية»[٢].

عدم الاعتراف بالعلوم الباطنية للرسول ﷺ:

يقول المدني:

«إن الوهابية يعتقدون أن النبي ﷺ ليس له نصيب من علوم الأسرار الحقة (العلوم الباطنية) وغيرها، ماعدا أحكام الشريعة، وأما هؤلاء الأكابر فإنهم يرون أن النبي ﷺ بلغ في علم الأحكام والشريعة وعلم ذات الله وصفاته وأفعاله وفي علوم الأسرار الكونية الحقة وغيرها، بلغ فيها منزلة لم يبلغها ولن يبلغها أحد من خلق الله، وأن الرسول ﷺ هو أعلى منزلة بعد الله عز اسمه، في العلوم وما سواها من أمور الكمال،

(١) «الشهاب الثاقب» ص: ٤٧.
(٢) «الشهاب الثاقب» ص: ٦٧.

وأنه ﷺ أعطي علوم الأولين والآخرين...»[١].

المنع من ذكر المولد الشريف:

يقول المدني:

«إن الوهابية يعتقدون أن نفس ذكر مولد الرسول عليه الصلاة والسلام أمر قبيح وبدعة، وقياسًا على هذا فإنهم يستقبحون أذكار الأولياء الكرام، وأما هؤلاء الأكابر فإنهم جميعًا يرون أن نفس ذكر المولد الشريف، إذا كان بروايات ثابتة، أمر مندوب وموجب للبركة...»[٢].

(١) «الشهاب الثاقب» ص: ٦٧.
(٢) «الشهاب الثاقب» ص: ٦٧.